

تدريس اللغة العربية بين الواقع والمأمول

الأستاذة سليمة عكروشي

كلية الآداب - قسم الترجمة،

جامعة الجزائر

ليس من شك في أن تدريس اللغة العربية في قسم الترجمة مهم جدا، فهي - حسب ما أعتقد - اللغة الأصل التي تنقل إليها النصوص من اللغات الأخرى، لكن الواقع عكس ذلك، إذ نرى الاهتمام بهذه اللغة - خاصة من قبل الطلبة - في تراجع مستمر، في حين أن اللغات الأخرى تحظى بالاهتمام والإقبال، والغريب في الأمر أن الكل يقر بأن اللغة العربية هي الأصل وهي اللغة الهدف، ومع هذا لم تحظ بعد بالاهتمام الكافي، وهذا يعود إلى أسباب حضارية وتاريخية واجتماعية ليس مجال ذكرها هنا.

إن تدريس اللغة العربية في قسم الترجمة - في نظري - يتأرجح بين واقع تعانیه وبين مأمول تصبو إليه، لذلك ارتأيت أن يقتصر بحثي على عرض تجربتي في تدريس هذه اللغة علها تساهم في تسليط الضوء على الإشكال و اقتراح الحلول و البدائل المناسبة.

واقع تدريس اللغة العربية في قسم الترجمة

عندما عُينت للتدريس في قسم الترجمة، كأستاذة للغة العربية، سألت الإدارة أن تمنحني البرنامج فكان الرد : لا وجود لبرنامج.

الحقيقة وقعت في حيرة كبيرة عندما واجهني سؤال : ماذا أقدم للطلبة إذا؟ سألت بعض الأساتذة الذين سبقوني في التدريس بالقسم فكانت أجوبتهم على أهميتها مختلفة، فكل أستاذ، وبنية سليمة، وضع برنامجه

الخاص تبعا لميوله هو وتخصّصه مقتنعا أن ذاك ما ينفع الطالب حتما. ثم سألت الطلبة من جهة أخرى عن حالهم في اللغة العربية، فتباينت الآراء بين الراضي بها والمتذمر، بين اللامبالي والمهتم، لكن اتفقت آراء أغليتهم حول نقطتين : غياب البرنامج ، وضعف مستواهم في اللغة العربية.

الحقيقة ازدادت حيرتي أكثر، لكنها حيرة لم تمنعني من أن أضع، أنا الأخرى، برنامجي الخاص بي، وهي الحيرة ذاتها التي جعلتني أكلف بعض الطلبة ببحث ميداني يتم خلاله سبر آراء طلبة قسم الترجمة في كل المستويات حول هذا الإشكال .

وقد تمحور البحث في سؤالين أساسيين :

أولهما : ما رأيكم في ما يقدم من دروس اللغة العربية في قسم الترجمة؟

ثانيهما : ماذا تقترحون من بدائل؟

فكان جوابهم ما يلي :

عبد الله طالب سنة الثانية تخصص إنجليزي : أجد نفسي ضعيفا جدا في هذه المادة، لأني لم أهتم كثيرا بدراسة الأدب العربي، فقد كنت في شعبة العلوم الطبيعية في المرحلة الثانوية، وعندما دخلت الجامعة لم يتغير مستواي، لأني غالبا لا أحضر حصص اللغة العربية، فأنا أجدها مملة ، فالأساتذة لا يوفرّون الجو الملائم والرغبة في التعلم، فالأستاذ عندما يدخل القاعة يوزع علينا نصا، يقرأه مرتين ثم يشرحه شرحا سطحيّا، بعدها يقدم لنا تطبيقات حول ما درسناه في السنوات السابقة، فلا نحصل على معلومات أو قواعد جديدة بل نكتفي بإعادة ما قيل من قبل وهكذا تقريبا في كل سنة.

ماذا تقترح من بدائل؟ على الأساتذة توحيد البرنامج، وإتباع منهاج معين يتوافق والشروط اللازمة للتحصيل والتعلم.

- نبيل سنة رابعة فوج أسباني : أنا أعشق هذه المادة وأواظب كثيرا على المطالعة بهذه اللغة وعلى حضور الحصص ، لكنني أرى أن الكثير من زملائي لا يولون أهمية للغة العربية ، وهذا في رأيي حال دون تحسن مستواهم فيها. وأنا أقترح إحياء الرغبة في التعلم لتحسين المستوى ولم لا إلقاء محاضرات تبرز أهمية هذه اللغة.

- مريم سنة الثالثة ألماني : موضوع حساس للغاية لأن اللغة العربية - كما نلاحظ - مهمة فمستعملوها كثيرون الأخطاء وهذا يعود إلى قلة التحصيل، فالطلبة في قسم الترجمة لا يبالون كثيرا بمستواهم في العربية، لأن اهتمامهم منصب على تعلم باقي اللغات.

والحل في نظري في يد الأستاذ فهو الذي يضيف على درسه لمسة من الحيوية لجلب الاهتمام والرغبة في التحصيل .

هذا وقد اقترب الطلبة في بحثهم من بعض الأساتذة وطرحوا عليهم السؤال التالي :

ما هو البرنامج الذي اعتمدته في التدريس هذا العام ؟ فكان جوابهم :

الأستاذ الأول : لقد اخترت لهم حياة الأدباء والشعراء، لأن القواعد قد اعتادوا عليها منذ الابتدائي ومع هذا فالطلبة متفاوتون في إقبالهم عليها منهم من أعجبه ذلك ومنهم من لم يعجبه المهم أن الأغلبية كانوا متشوقون لمعرفة حياة هؤلاء الشعراء وهذا ما شجعني على المواصلة.

الأستاذ الثاني : لقد اقترحت برنامجا في متناول الجميع لأن اهتمامي كان منصبا على التعبير والإنشاء بلغة سليمة ومع هذا فمستوى الطلبة في اللغة العربية متباين فهناك من هو لا بأس به لكن أغليبتهم مستواهم ضعيف والسبب يعود إلى عدم وجود لغة تخاطب واحدة وكمثال على ذلك نجد الفرنسي يستعمل لغة واحدة سواء بالبيت أو العمل أو الشارع عكسنا نحن الذين نستعمل اللغة الفرنسية واللهجة الدارجة ونحمل اللغة العربية

وهذا السبب الرئيسي الذي جعل الجزائريين في تراجع كبير مقارنة بالدول العربية الأخرى.

الأستاذ الثالث : بما أن ليس هناك برنامج موحد بين الأساتذة فيني أقدم لهم دراسة نصوص مختلفة وأدرجهم على الإنشاء، لكن للأسف فالطلبة غير مهتمين بذلك بل هم مهتمون أكثر باللغات الأخرى. ولتحسين مستواهم عليهم بالمطالعة لأنها الوسيلة الأنجح لتحسين المستوى.

استنتاج :

من خلال هذه الإجابات يمكننا أن نخلص إلى وجهتي نظر الطلبة والأساتذة في الموضوع.

1 / وجهة نظر الطلبة :

- طلبة يحمّلون الأستاذ وغياب البرنامج مسؤولية ضعفهم في اللغة العربية.
- لا يزال الطالب يعتقد أنه في مرحلة التأسيس.
- لا يزال يعتقد أن حل مشكلة ضعفه بيد الأستاذ، فهو بذلك لم يتحرر من تبعيته له.
- هو يدرك حاجاته إلى اللغة العربية لكنه لا يفعل شيئا، إما لأنه لم يهتد إلى كيفية تطوير اللغة أو أنه لا يريد بذل أي مجهود لتطويرها.
- حبس الطالب نفسه أكثر في النقطة فأصبحت النقطة عنده هدفا بدل أن تكون وسيلة.
- (النقطة وسيلة للوصول إلى الهدف ومتى تحولت إلى هدف ضاع الهدف الأصلي).

2 / وجهة نظر الأساتذة :

- يدرك الأستاذ تأثير غياب البرنامج، لذلك نراه يجتهد في تقديم ما يراه مفيدا للطالب.

- يركز أغلبية الأساتذة على تقديم دروس في قواعد النحو والصرف، وهم بذلك يركزون على الجانب المعرفي بالقواعد دون تفعيل الطالب لها واستثمارها في كتاباته.

من خلال ما ذكر نخلص إلى ثلاثة مستويات رئيسة مترابطة أراها هي سبب الإشكال وهي:

المستوى الأول: يتمثل في غياب برنامج محدد يوضح غايات وأهداف اللغة العربية في قسم الترجمة.

المستوى الثاني: بغياب البرنامج لم نستطع أن نحدد أو نعرف ما هي احتياجات الطالب في قسم الترجمة من اللغة العربية، فالعملية التعليمية قائمة بالدرجة الأولى على تلبية رغبة وسد حاجة ما لدى المتلقي، فإذا لم يجد الطالب المترجم غاياته من اللغة التي يدرسها انصرف عنها. ونحن للأسف قد حصرنا الطالب في زاوية حاجته إلى اللغة العربية لذلك نكرر عليه ما أخذناه أو ما يعرفه.

المستوى الثالث : إن غياب البرنامج وعدم معرفة الاحتياجات أديا بالطالب إلى الاعتقاد بعدم أهمية دراسة اللغة العربية في قسمه.

الاقتراحات والبدائل

قد يسأل أحدنا:

- صحيح ما هي احتياجات الطالب من اللغة العربية في قسم الترجمة ؟
- هل الطالب في حاجة إلى أن نقدم له درسا تقليديا في مادتي النحو والصرف وغيرهما؟

- هل هو في حاجة أن أكرر له ما أخذه خلال سنوات دراسته ؟ أم أنه بحاجة إلى تنشيط تلك المعلومات وتفعيلها وجعلها آليات يوظفها في خطابات وكتابات؟

في الحقيقة كنت دائما أقول ولا أزال، قبل أن نطلب من الطالب ترجمة نص من إنتاج غيره عليه أن يكتسب مهارة الترجمة عن آرائه هو وأفكاره هو وما يجول بفكره وخواطره فالنص المترجم هو حتما شكل من أشكال الكتابة ، فإذا كان الطالب جاهلا لهذا الشكل أو ذاك ولم يتمرن عليه ولا يعرفه وإن عرفه لا يحسنه فكيف له أن يترجمه إذا ؟

من هنا أرى ضرورة أن نعلم الطالب مهارتين : (أركز على كلمة مهارة لأنها توحى بقابلية اكتسابها).

أولاهما : مهارة فن الكتابة يتعلم فيها الطالب جملة من التقنيات والآليات التي تمكنه من الكتابة مثلا :

- تقنيات التقليل والتلخيص

- تقنيات الشرح

- تقنيات التوسيع

- تقنيات المناقشة والتحليل

- تقنيات الوصف بنوعيه الخارجي والداخلي

- طرائق تركيب فقرة
- طرائق بناء فقرة
- التدريب على الكتابة في أنماط النصوص المختلفة (الحجاجية، التفسيرية، الطلبية وغيرها)
- إدماج فكرة "المشروع" وهو أن نكلف الطالب بمشروع ترجمة كتاب ما، وفي كل سنة دراسية يترجم جزء منه وعندما يصل إلى سنة التخرج يكون قد أتم ترجمة الكتاب ويكون هذا المشروع بمثابة مذكرة التخرج.
- ثانيهما : أصول المخاطبة الشفوية يتدرب فيها الطالب على فني هامين هما: فن الاستماع وفن التحدث اللذان يمكنانه من تطوير الصفات الشخصية والمهنية لديه (مثل تنشيط الذاكرة، التكلم بأسلوب صحيح، مهارة الوقوف أمام الآخرين والتحدث أمامهم بثقة) فالمستمع الجيد يعتبر متحدًا جيدًا.
- وخلاصة القول إن حل إشكال ضعف الطلبة في اللغة العربية يكمن في شيئين أساسيين :
- أولهما : الطالب، الذي عليه أن يعي حاجته إلى اللغة العربية ويدرك دوره الخاص في تحسين مستواه فيها (المطالعة، البحث، القراءة إلخ) لأن أغلبية الطلبة في قسم الترجمة لا يقرأون باللغة العربية، فهم يعتقدون أن الأستاذ كفيف لوحده بتحسين مستواهم.
- ثانيهما : الأستاذ، ودوره في إدراك احتياجات الطالب في قسم الترجمة من اللغة العربية الذي يتحدد أكثر في برنامج يسد حاجات الطالب المترجم بالدرجة الأولى.